المحاضرة رقم:6

قضية الصدق والكذب في الشعر

تُعدّ قضية الصدق والكذب في الشعر من أهم القضايا النقدية التي شغلت النقاد منذ العصر الجاهلي إلى يومنا هذا، لأنها تتصل بطبيعة الشعر ووظيفته وحدود الخيال فيه. فهل يُشترط في الشاعر أن يكون صادقاً في كل ما يقول؟ أم أن الشعر بطبيعته قائم على المبالغة والخيال والتخييل؟

هذه التساؤلات شكّلت محور جدل طويل أنتج نظريات نقدية أثّرت في مسار الأدب العربي.

أولاً: مفهوم الصدق والكذب في الشعر

الصدق الفني مقابل الصدق الواقعي:

- **الصدق الواقعي:** تطابق الكلام مع الواقع الخارجي والحقائق التاريخية.
- **الصدق الفني:** توافق الصورة الشعرية مع التجربة الشعورية للشاعر، ولو لم تطابق الواقع حرفياً.

اعتبر النقاد المتأخرون الصدق الفني أهم من الواقعي، لأن الشعر تعبير عن إحساس داخلي لا تقريرٌ خبري.

- **الكذب في الشعر:**

المقصود به ليس الكذب الأخلاقي، بل التخييل.

ويدخل فيه: المبالغة، المجاز، التشبيه، الأسطورة، وصناعة الصور.

قال العرب: "أحسن الشعر أكذبه" أي أكثره قدرة على الإيهام والتخييل وخلق الدهشة.

ثانياً: نظرة النقاد القدامى

رأي الجاحظ:

يرى أن الشعر يقوم على التصوير والخيال، وأن المبالغة جزء من طبيعته. ويستشهد بقولهم: «أكذبُ الشعرِ أصدقه.«

ابن سلام الجمحي:

كان يميل إلى الصدق التاريخي في رواية الشعر، ففرّق بين ما قيل فعلاً وما نُحل على الشعراء. ولكنه لم يشترط الصدق الواقعي داخل النص الشعري.

ابن قتيبة:

اعتبر أن الشعر قد يكون كذباً من حيث الواقع لكنه صدقٌ من حيث الدلالة، أي أنه يعبّر عن حقيقة وجدانية.

الآمدي:

فرّق بين الشاعر الذي يصدق في تجربته ومشاعره ومن يختلق ما لا يحسّ، وهذا ما سمّاه النقاد لاحقاً الصدق النفسي.

عبد القاهر الجرجاني:

أسّس لمنظور بلاغي جديد: وهو أنّ الصدق عنده مرتبط بالتصوير والإبداع في النظم لا بالحقائق المادية. فإن جاء التصوير متناسباً مقنعاً كان صدقاً فنياً.

ثالثاً: أمثلة تاريخية على الصدق والكذب

- الصدق في الرثاء:

قصائد الخنساء في رثاء صخر تُعد نموذجاً للصدق النفسي والعاطفي:

أعينيّ جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى

- الكذب الفني أو المبالغة:

قول امرئ القيس:

ويومَ عقرتُ للعذراءِ مطيتي فظلَّ العذارى يرتمينَ بلحمها

فهذه مبالغة واضحة، لكنها مقبولة في سياق الشعر.

- المفاخرة والهجاء:

كثير من شعر الفخر يقوم على الادعاء والمبالغة، مثل قول عنترة:

ولقد ذكرتُكِ والرماحُ نواهلٌ منّي وبيضُ الهندِ تقطرُ من دمي

وهو تصوير فني لا يُشترط مطابقته للحقيقة.

رابعاً: موقف النقاد المحدثين

أ- الصدق الفني أساس الشعر:

يرى نقاد العصر الحديث مثل شوقي ضيف ومحمد مندور أن الصدق في الشعر يقوم على:

- صدق التجربة
- وحدة الشعور
- الانسجام بين الصورة والوجدان

ب- الشعر بوصفه تخييلاً:

تأثّر النقد العربي بالنقد الغربي، خاصة بآراء كولريدج وبودلير، فأصبح التركيز على:

- الخيال الخلّاق
- اللغة الإيحائية
- البعد الرمزي

وبذلك أصبح الكذب الفني جزءاً أصيلاً من بنية الشعر.

خامساً: حدود الصدق والكذب في الشعر

القبول العقلي: يجب ألا يصل التخيل إلى درجة السخف.

الانسجام الفني: المبالغة المقبولة هي التي تخدم الصورة.

الوظيفة التعبيرية: الكذب الفني هدفه نقل الإحساس لا تضليل المتلقي.

عدم المساس بالحقائق الدينية أو القيمية: وهو ما نَبّه إليه عدد من العلماء.

خاتمة:

قضية الصدق والكذب في الشعر مسألة فنية وجمالية أكثر من كونها أخلاقية. فالصدق الحقيقي ليس تطابق النص مع الواقع، بل قدرته على نقل التجربة الوجدانية بعمق وصدق شعوري، بينما الكذب المقبول هو التخييل الذي يمنح الشعر سحره وقدرته على التأثير والإيحاء.

وهكذا يتبيّن أن الشعر يجمع بين الصدق والكذب في آن واحد، لكنه كذبٌ جميلٌ يفضي إلى حقيقة.